

جذور إرهاباته الطب النفسي الإيقاع محبوي التطوري (من الإبداع الخاص)  
الفصل الثاني "غريب الأناضول" رواية "مدرسة العراة"



نشرة "الإنسان" 2018/06/24  
السنة الحادية عشرة - العدد: 3949

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

yehiatrakhawy@hotmail.com

مقدمة

نواصل اليوم نشر فصول رواية "مدرسة العراة" تباعا في هذه الأيام  
الثلاث (السبت/الأحد/الأثنين من كل أسبوع) كما أشرنا الأسبوع الماضي.

وهذا هو الفصل الثاني

مع أمل في التذكرة بأن المسرح الأساسي هو ساحة "العلاج  
الجمعي" وأن الفصول تتربط بحيث تحتاج إلى الرجوع إلى بعضها  
البعض لمن شاء.

\*\*\*\*\*

(رواية "مدرسة العراة")

الجزء الثاني: من ثلاثية "المشى على الصراط"

الفصل الثاني

"غريب الأناضول"

هذا شئ آخر..



فردوس الطباوي



غريب  
الأناضول

لم أكن في يوم من الأيام أظن أن جاري عبد السلام هذا، ذلك الموظف المسالم الغبي، سيكون  
السبب في أن اكتشف هذا الكنز في جراب سحري لهذا الحاوي العصري الذي يسمى نفسه طبيبا،  
جراب يوحى أنه يحوى كل شئ، من غطاء الكوكاكولا الصدي حتى خاتم سليمان، هذه المجموعة لا  
يجمعها شئ إلا اختلافها وإشاعة خبيثة تشوه مأساة وجودنا بإطلاق أسماء أمراض غريبة على مشاعر  
الناس، لكنها فرصة العمر، وسوف أتفرج بلا توقف، لو أنني قرأت مليون صفحة ما أدركت طرافة  
وعمق ما يجرى هنا، ما يطمئنني هو يقيني بأن صومعتي هي نهاية المطاف، قرون استشعاري تمارس  
نشاطها في حيوية دافقة كنت قد نسيتهما من زمان، هذا أكبر من أحلامي للعيش في ناد للعراة أو جبلاية  
يجرى فيها التمثيل بلا نص مسبق، في تجربتي السابقة كان هو فقط الطبيب وأنا المريض، كان علىّ

لو أنني قرأت مليون صفحة  
ما أدركت طرافة وعمق ما  
يجرى هنا، ما يطمئنني هو  
يقيني بأن صومعتي هي  
نهاية المطاف

قرون استشعاري تمارس  
نشاطها في حيوية دافقة  
كنت قد نسيتهما من زمان،  
هذا أكبر من أحلامي للعيش  
في ناد للعراة أو جبلاية  
يجرى فيها التمثيل بلا نص  
مسبق

أكسبتني صومعتي مناعة

ضد الاقتحام كما أكتسبتني  
عضلة عقلية النشطة مناعة ضد  
الكرس

أنا لا أؤمنه أين أقتضى  
وقتي، حين يرهقني البحث  
عن نظرية تأهية بين سطور  
مغمورة علما تنقذ العالم من  
الضلال، أحاول الهرب من  
سواد الكلمات إلى سواد  
الناس

مازلت أذكر قول طبيبي  
السابق أني حر، وأنه على  
أن أجد طريقي بنفسى،  
الشفاء والوحدة والحيرة  
والياس هى أسس تركيبنا  
الإنسانى

نحن نخدم أنفسنا حين نتصور  
أن لأى شئ معنى، ما يجرى  
هنا- للأسف - يحاول أن  
يجعل، لكل شئ معنى. ما هذا  
العيب؟

أن أشكو، أن أفسر، أن أحكى أن أعالج، أما هنا فأنا أستطيع أن أتفرج دون أن أنبس بكلمة، تحصنت  
خلف حواجزى المانعة بكل ما يطمئنى إلى موقفى الثابت، من ذا يجرؤ أن يتخطى ألف حاجز وحاجز  
من الأسلاك الشائكة والخرسانة المسلحة بداخلى؟! أضحك فى نفسى حين يحاول أحدهم الاقتراب منى،  
أكسبتنى صومعتى مناعة ضد الاقتحام كما أكتسبتنى عضلة عقلية النشطة مناعة ضد الكرس،  
أصبحت مثل ساعات سويسرا المضمونة، موجات نظراتهم قصيرة تسقط عند قدمى بعجزها وتردها،  
لا أخشى إلا شيخهم الأكبر، أعلم كيف أحمى نفسى من محاولاته، مازلت على البر عواما، وسوف  
أظل على البر أبدا، هذا هو موقفى الثابت ولكنى سوف أحضر بانتظام حتى لو اضطررت إلى  
التظاهر بالمشاركة فى النقاش وتبادل لعبة الإحساس أحيانا.

رائعة هذه اللعبة: الحياة فى أنبوية اختبار، يجتمع عدد من الناس فى عيادة طبيب، ويجربون أنواع  
العلاقات المختلفة، وكأنها معادلات كيميائية، تكنولوجيا الحب، والباشمهندس يحقق ضبط العدادات  
وتزييت القلوب، تدريبات المساء فى الإحساس بالشفاء، أتصور هذا الرجل المخدوع وهو يكتب  
النسخة العصرية لتذكرة داود "تذكرة عبد الحكيم نور الدين، فى هداية المحبين، إلى طريق اليقين".  
أجلس بالساعات بعد ما أنصرف، استرجع ما كان وأكد أهلك على نفسى من الضحك، منذ سنين لم  
أضحك هذا الضحك، أثناء جلسة تحضير الأوهام ألبس مسوح الجيد وأطرد عن ذاكرتى أى  
مقارنات بحركات فؤاد المهندس أو عبد المنعم مدبولى، أحيانا أخاف أن يكتشفنى أحدهم وأنا أتفرج  
عليهم، وخاصة شيخهم المخدوع، ربما هددنى حينئذ بالطرد أو العلاج، سوف أستمى فى هذه اللعبة بلا  
انقطاع، سوف أراوغ نظراته، وإن كنت على يقين أنه لا يدرك أبدا حقيقة ما يجرى، هو لا يرى إلا ما  
يتصور، وهو يسترزق فى جميع الأحوال.

مازال منظر فردوس المسكنة فى آخر جلسة يؤكد روعة الوهم الطبى الحديث، كانت كالفار  
المذعور وهى تتحدث عن حبها لكل الناس: وتخص بالذكر الطيب ابراهيم الطيب على سبيل المثال لا  
الحرص، وتفضلوا سيادتكم بقبول فائق المحبة والشفاء، صاحبنا عبد السلام يتظاهر بالموافقة ودخله  
يرتعد خوفا من أن تفتح القطة عينونها دون استئذان، أو أن يذهب بصرها أبعد من حساباته الغبية،  
تعجبت أول مرة حين نجح أن يحضرها للعلاج، ماذنبها هذه السيدة الطيبة؟ جارتى البلهاء؟ ماذنبها  
حتى تضطر لسماع هذا اللغو وهى غاية اهتمامها حلة مسقعة؟ لماذا يفرض عليها أوهامه التفاؤلية  
بإمكانية الحياة، لقد استجبت أنا لدعوته لأنى وحيد، ولأنه سبق لى أن طرقت أبواب العلاج، أنا لا  
أعرف أين أقتضى وقتى، حين يرهقنى البحث عن نظرية تأهية بين سطور مغمورة عليها تنقذ العالم من  
الضلال، أحاول الهرب من سواد الكلمات إلى سواد الناس، أما هذه السيدة فأنا مارأيتها قط من نافذتى  
إلا وهى خارجة من المطبخ أو ذاهبة إليه، حتى أنى صعقت حين عرفت أنها تحمل ليسانسا فى  
التاريخ، عرفت السعادة يوما على وجهها حين لقيتها مصادفة على الباب تستقبل صاجات كعك العيد  
ووجهها معفر بالدقيق حتى بدا خذاها الموردان فى حالة من البياض المتحفر، يلوح من بين ثناياه بريق  
عينيه اللامعتين بفرحة الأطفال مثل شعاع الشمس من وراء سحب ناصع ساعة الأصيل، هذه هى  
سعادتها الحقيقية يا عيد السلام افندى، ولكنك مثل المقطف، سمعت كلام ذلك الرجل الأبله وأحضرتها  
تتعلم الحب، أى حب يا رجل؟، يبدو يا حاج عبد السلام أنها سوف تنتقن الصنعة أكثر من تصوراتك،  
وربما عمّ الخير، لو أنى أصلح لكان الجار أولى بالشفعة.

حين تفتحت أكامها بيننا - حسب التعليمات - عرفت ذلك الشئ المثير فى تركيبها الأثوى الحار

الإنسان لم يخترع الألفاظ  
للتفاهم فقط ولكن لتجميعه من  
التعبير عن مواطنه بطريقة  
صادقة تعرض حياته للخطر

قبل مجيئك كنت أتحدث عن  
شكواي هذه كثيرا،  
نهروني وقالوا إنني أهرج  
في شكواي من نفسي، ورغم  
أنني لم أهتم شيئا، إلا أنني  
كففت عن الشكوى

هذا الطبيب بائع أوهام يحطم  
وحدته بإملاء أفكاره، والذي  
يتنازل عن ذاته ويقتد ومعه  
يحصل على لقب "صحيح"  
بتقدير "متطور"، وأحيانا  
بتقدير "حر"، وأحيانا يتقلد  
"نیشان البيغاوية" من  
الدرجة الأولى

لا بد وأن اعترفه بأنني  
موشك على الوقوع فيما  
أحذر منه طول حياتي، لا، لن  
يحدث هذا أبدا، أنا عرفت  
طريقي إلى صومعة يأسى

وخفت عليك يا عبده يا جارى العزيز، ويحك، من أين لك بالصواريخ جو - جو؟ كيف ستلحق بها إذا  
حلقت هي في سابع سماء، خاصة وأن جناحيها ينموان بسرعة أكبر من تصوراتك؟ لا أستطيع أن أنكر  
أنها تغيرت وإن كنت لا أعرف إلى أين، جمعنا الأتوبيس يوما ولم تكن أنت هناك يا عبد السلام،  
تعجبت إذ بدأتى هي بالحديث.

= وأنت يا غريب افندى؟ سلامتك.

- لا أبدا، عبد السلام هو الذى أعرانى بالمجىء.

= ظننت العكس.

- ليس بى شئ على أى حال.

= ولماذا طاو عتاه؟

- العلم بالثئى ولا الجهل به.

= ولكنك لا تتغير أبدا، فلماذا الغرامات.

- ومن قال إنى أريد أن أتغير، أما عن الغرامة فهنا أرخص من مسارح القطاع الخاص.

= لم أكن أعرف أن دمك خفيف هكذا.

-.....

= ولا أنك سريع الخجل، هكذا.

- لا شك أنك تغيرت يا فردوس هانم.

= ومع ذلك يقولون أنه ليس هذا هو المطلوب.

- لابد أن يقولوا ذلك، المهم أن تعرفى من الذى يطلب ماذا.... ولماذا....

= لا أستطيع أن أحسب مثل هذه الحسبة ولا أن أرسم خطة دون إدخال عبد السلام فيها.

-... رجل محظوظ.

= تحقد عليه وأنت الذى ترفض النعمة.

- فردوس هانم !!!!

= أنت حر.

- أنت لا تعرفينى.

= يقولون هنا أن كل واحد مسئول عما هو فيه.

- ... كلام.

= هذا ما أفهمه من تصرفك.

- تلميذة مجتهدة.... تتغيرين بسرعة.

= سأقولها حتى ولو جرحتك: أنا أشفق عليك من كل قلبى.

رفستنى البقرة الرقطاء بلا إنذار.

استعدتُ توازنى وصعدت فوقها درجتين لأنظر إليها من أعلى، ”ما هى إلا ذبابة حقيرة تظن حوالىّ وهى تردد مالا تعى“.

\*\*\*\*

هل أكف عن الذهاب وأكتفى بهذا القدر من الفرجة؟ أصبحت المسألة بالنسبة لى محفوظة: طلبات أو أوامر بالإحساس، وتشكيك فى العواطف الإنسانية المتاحة، ولا حقيقة إلا الفراغ والتبعية، أكاد أفهم الآن هذه اللعبة الخطيرة وخاصة بعد أن بدأت تقترب منى، حتى فردوس جارتنا البلهاء تتظاهر بالفهم وتحاول علاجى!! مازلت أذكر قول طبيبى السابق أنى حر، وأنه علىّ أن أجد طريقى بنفسى، الشقاء والوحدة والحيرة واليأس هى أسس تركيبنا الإنسانى، أى محاولة للتكشيك فى ذلك هى تشويه لحقيقة الوجود البشرى الكئيب بلا معنى، العالم مقضى عليه بالفناء، ونحن نخدع أنفسنا حين نتصور أن لأى شئ معنى، ما يجرى هنا- للأسف - يحاول أن يجعل، لكل شئ معنى. ما هذا العبث؟

يُحَمَلُ الألفاظ أكثر من احتمالها، الإنسان لم يخترع الألفاظ للتفاهم فقط ولكن لتحميه من التعبير عن عواطفه بطريقة صادقة تعرض حياته للخطر، الألفاظ هى الدرع الواقى من المشاعر المهدة بفقد الوعى، فلماذا يحاولون أن يحمّلوها كل هذه الشحنة من الإحساس والمسئولية وكأنهم يرهقونها حتى لا تعود تحمينا، لا أنكر أنى بدأت أخشى الاقتراب أكثر وأكثر، أعداد الذين يحاولون اختراقى تتزايد، حين يلتحم البعض بصدق - على ما يبدو - أخفى نفسى فى أفكارى ولا ينفذنى من المشاركة إلا إيمانى بجنون هذا الرجل، لم أعد آمن أحدا فيهم، أنا لم آمن لأحد أبدا، أحيانا أرتاح لكمال نعمان، أو عبد السميع الأشرم، الغيبوبة التى يغطان فيها تؤكد لى خدعة الحياة الكبرى، لم أصدق فى أول الأمر أن هذا هو كمال نعمان بلحمه ودمه، كيف يكون هذا الجالس معنا فى ذهول لا ينقطع هو هو ذلك الإنسان الشاعر الرسام الذى تحمل ألفاظه كل مأساة الإنسان وخفايا الطبيعة وما فوق السحاب؟ يخيل لى أحيانا أنه يعمل فى المخبرات العامة، يحمل آلات التصوير السرية، ويخزن الأفلام للاستعمال الشخصى على الورق الحساس، ربما كان هذا هو مصدر هذه الروائع مما نقرأ له من شعر حلو، لا شئ يستحق أن يثيره هنا، وإن كانت عيناه تتذبذبان مثل مؤشر جهاز الاستقبال لضبط الموجات، حين أنسى نفسى، يثير فى مشاعرى الخاصة.... ترى هل هناك سبيل لىه؟

منظر عبد السميع وهو يحاول الانتباه يثير شفقتى بحق، أشعر أنه يحاول أن ينشل البحر بقذح قهوة متقوب، ثقبه أكبر من محيط قاعه، فى مرة تجرأت على الحديث معه.

= أستاذ عبد السميع.

- نعم.

= لماذا تأتى لى هنا؟

- أمعائى.

= مالها؟

- تقلص دائم، نصف وقتى منصرف لى محاولة التخلص مما بها.

= وهل استشرت طبيبا باطنيا؟

- هو الذى أرسلنى لى هنا.

بعد عمر شقى رائع، لن أتنازل عن ذاتى ولو كان الثمن هو الموت نفسه.

جمال هذه المرأة يتحدانى  
فى كثير من الأحيان،  
مازالته خامضة بالنسبة لى،  
ثقافتها أكبر من وظيفتها  
بمطار القاهرة، عنابيتها  
بجسمها لا تنفق مع صدق  
أحاسيسها التى تفزع لى

لا يقدر على القدرة إلا الله،  
لن أدخل السجن برجلي ولو  
كان فى الداخل جنة هى  
حوريتها وهذا الطبيب  
رضوانها

لن يمتلكنى أحد، لا طبيبى  
ولا امرأة، ولا رجل، إن كان  
ثمة حقيقة فيما يقال هنا فهى  
أنه لا يوجد حب بين أحد  
وأحد، هو احتياج ملتهم  
يتخفى وراء ألفاظ جديدة،  
يدعون وجود حب آخر يشمل  
الرجل والمرأة على حد سواء

- = وهل وجدت ضالتك هنا؟
- أبدأ، مازال الأمر كما ترى.
- = فلماذا تحضر؟
- أعجبتنى الطريقة، وعندى أمل فى الراحة.
- =.... لم أسمعك تذكر أمعاءك أبدا أثناء العلاج.
- قبل محبتك كنت أتحدث عن شكاوى هذه كثيرا، نهرونى وقالوا إني أهرب فى شكاوى من نفسى، ورغم أنى لم أفهم شيئا، إلا أنى كفتت عن الشكاوى.
- = وهل أنت موافق على هذه الطريقة؟
- الطبيب أعلم بما يفعل،
- = ولكن ما يفعله إنما يفعله فيك أنت.
- ربنا خلق الطب والمرض.
- = أو ليس عندك حيرة، أو قلق، أو حزن؟
- ولماذا كل هذا؟
- = هذه هى البضاعة التى تعرض هنا على قدر ما أرى وأسمع.
- وأنا مالى.
- = لا شئ يشغلك من هذه الأمور؟
- أبدأ، تدينى يحمينى من كل شر،
- = هل يعطيك تديتك هذا إجابة على كل الأسئلة؟
- طبعاً.
- = وكيف تتحمل هذه الانفعالات والانفجارات من حولك؟
- أشفق عليهم واستغفر الله العظيم من الكفر والضلال.
- =....هم يتخطون الحدود كما ترى.
- ليس على المريض حرج.
- = أستاذ عبد السميع.
- نعم.
- = أدع لى.
- حاضر.
- يا أخي، أنا أسخر منك، أحاول أن أتيرك. أنا لا أومن بهذا التسليم، ولا هذا الأمل، ولا هذا الدعاء، ولا شئ.

يحاولون أن يخففوا من هول  
الجمود الذى نعيشه بالتلويح  
بالأمل فيما لا يكون

هذه الكلمة "الحبج" سوف  
تنزع من القواميس ويكتب  
فى تاريخها أنها أكبر خدمة  
اخترعها الإنسان

كفى خداعا يا نبوى، التلويح  
بالسعادة هو المخدر  
الحديث، والأطباء الأرزقية  
يعسرون استعماله كما ترون

لأنى محافل، تعلمت من تجاربي  
المرة، طلقته الألفاظ الفارحة  
من حياتى، لم أجد أحتاج إلى  
الكذب حتى ولو خلقته  
المصطلحات الحديثة، أو  
وزعوه بالبطاقات فى  
محادثات الأطباء

- يشفيها الله ويشفي المسلمين.

= خل بالك، هذه الدعوة لا تجوز على ملكة وغالى، فهم على غير الملة.

- رحمة الله واسعة، وهم من أهل الكتاب.

= استاذ عبد السميع !!.

- نعم.

= لا شئ،

ما هذا البله العظيم؟ أمان هذا أم تخدير عام؟ أهذه هي الحياة التي دعوتني أن أطرق بابها يا عبد السلام أفندي يا مخرف؟ أكثر الله خيرك، رأيت مازاد إيماني باليأس طريقاً أوحى للحياة الصادقة.

\*\*\*\*

كنت قد قررت أن تكون تلك المرة، هي آخر مرة، فما الذي جاء بي إلى هنا من جديد؟ اللعبة وحفظتها، أستطيع أن أجيب بدل أي واحد منهم نفس الإجابة وبنفس الألفاظ قبل أن ينطقها هو، خدعة هؤلاء البشر أكبر من كل ضلالات التاريخ، هذا الطبيب بائع أو هام يحطم وحدته بإملاء أفكاره، والذي يتنازل عن ذاته ويفقد وعيه يحصل على لقب "صحيح" بتقدير "متطور"، وأحياناً بتقدير "حر"، وأحياناً يتقلد "نيسان البيغاوية" من الدرجة الأولى، الآخرون يبذلون قصارى جهدهم في الحفاظ على معالمهم، لكنهم مازالوا يحضرون مثل حالاتي، ما الذي أتى بي اليوم بعد أن عرفت كل ما عرفت؟

هذا الشيخ يدعى الطب، حلمت به الليلة لأول مرة، ظهر في الحلم كحيوان الكنغر له كيس من لحم أمام بطنه، طلبت منه أن أختبئ فيه من نور تتبعتني، أمسكني من عنقي حتى كدت أختنق ووضعني فيه بلا رحمة، فوجئت بثعبان يقبع داخله، لم يعضني الثعبان لكن ملمسه الناعم وحركة جسده اللزجة الزاحفة على جسمي كانت أشجع من الموت ذاته، أنيابه ظلت تتراقص أمامي كألسنة اللهب دون أن تقترب مني، صحت فزعا وحاولت أن أنسى الحلم دون جدوى.

هل أتجرأ وأحكي لكم عن.....؟ طبعاً لن أحكي، أنا لا أحس بالأمان إلا مع إبراهيم الطيب أحياناً، قد أجد اهتماماً عابراً في نظرات عبد السلام، على الرغم من أن أيهما لا يردد إلا ما يقوله شيخ الحلقة، يعني، أحس حواجزي الشائكة بطبقاتها الأسمنتية ترق بالرغم مني، لا بد وأن اعترف بأنني موشك على الوقوع فيما أحذر منه طول حياتي، لا، لن يحدث هذا أبداً، أنا عرفت طريقي إلى صومعة يأسى بعد عمر شقى رائع، لن أتنازل عن ذاتي ولو كان الثمن هو الموت نفسه.

لماذا أتيت هذه المرة إذن؟ ولماذا أتيت أصلاً؟

الوجه الذي تراءى لي وأنا قادم في الاتوبيس وانتظرت أن أراه فور حضوري هو وجه نجوى شعبان، جمال هذه المرأة يتحداني في كثير من الأحيان، مازالت غامضة بالنسبة لي، ثقافتها أكبر من وظيفتها بمطار القاهرة، عنايتها بجسمها لا تتفق مع صدق أحاسيسها التي تفرغني، لم أستطع أن أكتفي بالفرجة عليها، تحرك داخلي الجسدي وهي في قمة انفعالها بالبكاء، إثارتني كانت من نوع آخر مثل أيام البلوغ الأولى، لم تكن دموع امرأة مسكينة أو مستعطفة، كانت دموعاً مشعة بالقدرة والتقبل في نفس الوقت.

لا بد أن اعترف أن هذا الرجل يبدو لي أحياناً مثل الحاوي حين أفاجأ بأنه يحرك خليطاً من

الخدمة الحقيقية التي يمكن أن يقدمها هؤلاء الأطباء إن صدقوا مع أنفسهم هو أن يعلنوا فشلهم. أن يصدروا مرسوماً طبياً يسعج الأمل جميعاً، حينئذ يعيش الناس في الواقع، ويسعون في بله إلى الألفي، مثل أجدادهم وأبناء عمومتهم من الفيلة أو النمل الأبيض

حين تحوسين النمل بحذائك مصادفة لا تتوقعه بقية المجموعة من جر لكمة العيش إلى جعرها بلا حركات ميلودرامية، ولا هرجة هي المستحيل، وبهذا تحافظ على نفسها من الانقراض

لو ينس كل من حولك حتى لو كنت أنت السبب في بأسهم فإن أملاً ما ينبعث في داخلك دون إذن منك، فتتعمل مصيبتك وحدك من جديد، المشكلة هي في تفجير الأمل حين ترى اليأس يحجمه الحقيقي، ذلك الأمل الذي تدب فيه الحياة لحظة أن

توقن بتمام اختفائه.

كيفه أحببت ذلك الطبيب  
الذي كرسته كل فكرى  
ومشاعرى للنيل منه وفقس  
خداه؟

كيف تخيلت أن الدنيا بخير  
حتى تفجر الأمل فى كيانى  
وكانه يهبط من شلال لا  
ينقطع؟

الدموع تتدحرج حباتها على  
وجهى وكانها الماء المقدس  
يغسلنى فتختفى الشكوك  
التي تراكمته طوال هذه  
السنين

كيفه انبعثت من جلدى  
أشعة دافئة لتذيب جبل جليدي  
اليأس المتراكم؟

المشاعر مما لم أعهد تجمعها معا حتى بين صفحات الكتب، لعلى حضرت اليوم من أجلها، لا أظن،  
أحيانا أشعر أنها تلعب نفس اللعبة السخيفة، تستدرجنى بالدلال والإثارة حتى الموت، لكنها تفعل نفس  
الشيء مع الآخرين، هذه هى إضافات البدعة الجديدة: ”حب الكل رغم الارتباط بواحد“، لا يقدر على  
القدرة إلا الله، لن أدخل السجن برجلي ولو كان فى الداخل جنة هى حوريتها وهذا الطبيب رضوانها،

فشلها الأول لا يعنى رفضها للعلاقات الامتلاكية، قد يعنى خيبتها فى إحكام الأفعال، لن يتمكننى  
أحد، لا طبيب ولا امرأة، ولا رجل، إن كان ثمة حقيقة فيما يقال هنا فهى أنه لا يوجد حب بين أحد  
وأحد، هو احتياج ملتهم يتخفى وراء ألفاظ جديدة، يدعون وجود حب آخر يشمل الرجل والمرأة على  
حد سواء، عبث ما بعده عبث، يحاولون أن يخففوا من هول الجمود الذى نعيشه بالتلويح بالأمل فيما لا  
يكون، هذه الكلمة ”الحب“ سوف تنزع من القواميس ويكتب فى تاريخها أنها أكبر خدعة اخترعها  
الإنسان، على هذا الرجل أن يثبت لنا حقنا فى اليأس من كل شئ إن كان صادقا، إذن لأمنت به دون  
تردد، إنه لا يفعل شيئا إلا أن يلوح بأشياء لا وجود لها وهو يحطم الأصنام جميعا حتى لا يبقى إلا  
صنمه هو، وقرانه هو، يسمى صنمه الصحة كما يسمى قرانه التطور،

بالله عليك يا عبد السلام تسأل فردوس عن فائدة هذا الكلام فى صناعة حلة المسقعة أو شطف  
غيار العيال، حين كنت استغرق فى القراءة كنت أستطيع أن أتصور هذا الحب الذى يكون عنه،  
الانسان أخ للإنسان فى كل مكان، يمكن أن تصنع من هذه الألفاظ بيت شعر سخي، أو تضعها  
نصيحة فى خطبة جمعة فاترة، أو تعلقها على لافتة فى استقبال رئيس دولة كذاب، أما أن تحاول أن  
تجسد هذا الكلام لحما ودما فأنت تباع الوهم، لا مانع من أن تحلم بأن يحب الإنسان الإنسان، ولكن  
”عادلا“ لا يحب ”سعادا“، فماذا تريد منى يانجوى يا شعبان؟

- هل قررت شيئا يا غريب؟

= ماذا تعنين على وجه التحديد يا نجوى؟

- أراك هذه الأيام لا تستطيع أن تحكم تماسكك.

= قرارى قديم ولا قوة فى الدنيا تستطيع أن تغيره.

- القرار يتغير أحيانا من خلف ظهورنا، ونحن لا نختار إلا الفرصة التى تسمح له بالظهور.

= تعلمتم جميعا الحكمة فى مدرسة نور الدين التجريبية، حتى فردوس جارتنا التوى لسانها، والذى

كان قد كان.

- لماذا تُرجع كل شئ إليه؟

= لأن الجمل والألفاظ، وأحيانا تعبيرات الوجه تتشابه بشكل مزعج.

- خلقنا الله من نفس واحدة.

= وخلق منها زوجها ليسكن إليها!!، أليس كذلك؟

- خوفك يصور لك أن المصائد تتربص بك طول الوقت.

= أنا ملك مملكتى.

- إن كان لك مملكة.

- = هي ذاتي بلا زيادة ولا نقصان.
- أنت تدور بداخلها طول الوقت.
- أفق بطريقتي، وأمشي على مزاجي.
- محلك سر، على شرط ألا يتغير قرارك.
- = طبعاً.
- هل أنت سعيد بهذا؟
- = كفى خداعاً يا نجوى، التلويح بالسعادة هو المخدر الحديث، والأطباء الأرزقية يحسنون استعماله كما ترين.
- وما البديل؟
- = إعلان اليأس التام.
- هل هذا هو قرارك؟
- = تماماً.
- لماذا تخاف الأمل؟
- = لأنني عاقل، تعلمت من تجاربي المرة، طلقت الألفاظ الفارغة من حياتي، لم أعد أحتاج إلى الكذب حتى ولو غلفته المصطلحات الحديثة، أو وزعوه بالبطاقات في عيادات الأطباء.
- بغير الرجاء لا نعيش.
- = الواقع العظيم يقول: لا جدوى أصلاً.
- تقترح إلغاء الأمل من حياتنا بقرار رسمي.
- = الخدمة الحقيقية التي يمكن أن يقدمها هؤلاء الأطباء إن صدقوا مع أنفسهم هو أن يعلنوا فشلهم، أن يصدروا مرسوماً طبيياً يسحب الآمال جميعاً، حينئذ يعيش الناس في الواقع، ويسعون في بله إلى اللاشئ مثل أجدادهم وأبناء عمومتهم من الفيلة أو النمل الأبيض.
- ومن قال لك أن الفيلة والنمل الأبيض يسعون في بله.
- = أنا الذي أقول ذلك.
- حياة الإنسان طاحنة، ووعيه بها مرعب.
- = هذا المرسوم، الذي أقترحه بإعلان اليأس الشامل، سييطل مفعول هذا الوعي الغبي، سيوقف الجري وراء المستحيل.
- ونستسلم للسحق والقهر؟
- = حين تدوسين النمل بحذائك مصادفة لا تتوقف بقية المجموعة عن جر لقمة العيش إلى جحرها بلا حركات ميلودرامية، ولا هرب في المستحيل، وبهذا تحافظ على نفسها من الانقراض.
- بشع، بشع، بشع.

كيفه أحاطتني أيديهم حتى خيل إلي أنها اختلطت بعضها ببعض، وتكاثرت، فانهلبت ناساً تتكاثر حتى أمثلت الأرض بالعالم الطيبين؟ كل هذا لم يستغرق سوى ثوان قليلة... هي الدهر كله.

كان دبيب الأمل يشوش فكري، اختلعت حساباتي، لم أتصور أنه يمكن أن أتبعثر هكذا أمام نمر اقتراجه طاحق، لم تثر مشاعري الأخرى وأنا هي حضنه، أبين خضبت وهى سجنى ومعبدى هي نفس الوقت؟

كان مجرد تصوري أنني بين ذراعى رجل فعل فأحدر مقتحم بذهبه بى إلى سبع أرض، أبين خضبه الخجل من مشاعري الخاصة والخوف من كشفها؟ بل أبين هي أصلاً؟

= صدقيني يا نجوى.

- بشع وكتيب.

= الآن تقتربين من حقيقة الحياة.

- مرارتك سوداء، حتى لأكاد أياس.

= الآن يصبح للعلاج معنى، هيا بنا للجلسة.

\*\*\*\*

انتصاري هو الهزيمة ذاتها.

كنت أتمنى ألا تقتنع نجوى بحرف مما قلته لها، حين استسلمت لياسى بدأ اهتزازى، لو يؤس كل من حولك حتى لو كنت أنت السبب فى ياسهم فإن أملا ما ينبعث فى داخلك دون إذن منك، فتتحمل مصيبتك وحدك من جديد، المشكلة هى فى تفجر الأمل حين ترى اليأس بحجمه الحقيقى، ذلك الأمل الذى تدب فيه الحياة لحظة أن توفى بتمام اختفائه.

دخلت إليهم اليوم مهتزا تماما لا أعرف ما السبب، حتى بدا للجميع أنى غير متمالك..

**كيف حدث ذلك؟**

**كيف سمحت لنفسى أن أتنازل عن وعيى دون حساب؟**

كيف بكيت فى حضن إبراهيم الطيب حتى خيل إلى أننى انتقلت إلى العالم الآخر من فرط الأمان والإذعان؟ كيف أحببت ذلك الطبيب الذى كرس كل فكرى ومشاعرى للنيل منه وفقس خداعه؟ كيف تخيلت أن الدنيا بخير حتى تفجر الأمل فى كيانى وكأنه يهبط من شلال لا ينقطع؟ كيف تمنيت أن أضع من ثدى فردوس وهى منحية على فى حنان غامر؟ كيف نسيت نفسى؟ هل كان دهرًا أم جزءًا من ثانية؟ كيف أحسست بحلاوة الشهيق والزفير؟ كيف شعرت بقسمات وجهى وأنا أبتمس؟ وأنا أتكلم؟ ليس بكاء، الدموع تتدحرج حباتها على وجهى وكأنها الماء المقدس يغسلنى فتختفى الشكوك التى تراكمت طوال هذه السنين، كيف انبعثت من جلدى أشعة دافئة لتذيب جبل جليد اليأس المتراكم؟ كيف أحاطتتى أيديهم حتى خيل إلى أنها اختلطت بعضها ببعض، وتكاثرت، فانقلبت ناسا تتكاثر حتى امتلأت الأرض بالعالم الطيبين؟ كل هذا لم يستغرق سوى ثوان قليلة.... هى الدهر كله. أرفض كل ماحدث.

السبب فيما حدث، فيما لم يحدث، هو ذلك الفلاح الجسيم إبراهيم الطيب، نهر الحياة ينساب من ملامحه الضخمة بلا حساب، يده التى كأنها قدت من جبل تقطر حنانا وثقة، لم يكد يرانى مهتزا من استسلام نجوى لياسى حتى انقض على يغمرنى بهذا الشئ الرائع الذى يسمى أحيانا الحب مع أنه أكبر من أى اسم، مازلت أذكر كيف انفجرت فى النشيج دون بكاء فور سؤالى عن إحساس إبراهيم نحوى وعن قدرتى على إظهار ضعفى، لم أكن قد استجمعت حذى بدرجة كافية، كان دبيب الأمل يشوش فكرى، اختلت حساباتى، لم أتصور أنه يمكن أن أتبعثر هكذا أمام غمر اقتراب صادق، لم تنثر مشاعرى الأخرى وأنا فى حضنه، أين ذهبى وهى سجنى ومعبدى فى نفس الوقت؟ كان مجرد تصورى أننى بين ذراعى رجل فحل قادر مقتحم يذهب بى إلى سابع أرض، أين ذهب الخجل من مشاعرى الخاصة والخوف من كشفها؟ بل أين هى أصلا؟

كان لأبد لى من هذه  
الإجازة من كل شئ حتى  
الأكل والشرب، وبأ حبا  
التنفس والإحساس

انسحاب تام إلى صومعتى،  
أتوقف عن كل شئ إلا عن  
التفكير واللوم حتى فى  
نومى، حفلة تفكيرى لا تبدأ  
وانتباهى بزجاج حدة

كيف سمحت لنفسى؟ كيف  
استدرجتنى نفسى؟ كيف  
أهمو آثار العدوان؟ أبشع  
عدوان عرفه التاريخ أن  
يقتمه داخلك من لا تعرفه  
دون إذن، فجأة لا تجد  
لذاتك معالما تذكر: تصبغ  
قطرة فى محيط دون إنذار  
أو تحذير

كانت نجوى مثل إبراهيم مثل إصلاح مثل عبد الحكيم، كنت رجلا وامرأة بلا خجل ولا تشويه.

\*\*\*\*

كل همى الآن هو أن أمحو ما حدث، مادام قد حدث، وبأسرع ما يمكن.

لو أنى انقطعت الآن عن الذهاب لظنوا بى الظنون وحسبوني خفت من الشفاء أو من الحب كما يزعمون دائما، لا، لا يكفي أن أنسى أنا ما حدث بل لابد أن ينسوه هم أيضا، بل أولا، ولكن كيف؟ أكبر خدعة خدعتها فى حياتى هى هذا الاستسلام القبيح، أين كنت أنا حينذاك؟ كيف تنازلت فجأة عن كل مكاسبى وأشياءى الصغيرة وانتصاراتى الصومعية ويأسى المبدع؟ أين كنت حين ألقيت تاريخى فى لحظة واحدة فى أرض لا أعرف أغوارها؟

لن ألقى اللوم على إبراهيم أو نجوى، بل هو شيخهم الخبيث، لابد أنه وراء كل هذا، لابد أنه سلطهم علىّ ليجبوننى، رغم أنفى، تكتيك مدبر لأفقد ذاتى، هو متأكد أنى الوحيد الذى أعرف الأعييبه ونوابه وكيف يخدعنا جميعا، هذا هو التفسير لتجنبه التفاعل معى مباشرة حتى الآن، كله من خلال المريرين الذين يدرّبهم على تجسيد الوهم، ثم ..... ثم، ثم: لاشئ.

\*\*\*\*

هأنذا ملقى فى حجرتى، التراب يعلونى منذ أمس الأول مثلما تراكم على الكتب منذ شهور، كأنى أحدها، الهرب مما كان حتم لم يبق على تنفيذه إلا التوقيت، كل شئ انتهى إلى غير رجعة حتى لو اضطررت إلى الاستمرار معهم بعض الوقت، أين حبهم المزعوم إذا لم يستطع أن ينفذ عنى حتى التراب؟ ما الفرق بين هذا الخداع وبين أى لعبة غرامية نذلة؟ أفاظ عظيمة، لحظات مشتعلة بلهيب سريع الانطفاء، فالنسيان فالضياع، من منهم يفكر فى الآن؟

حتى أنت يا كمال الذى لا تعرف ما تفعله بى مشاعرى نوحك !!،

فردوس هانم تتراءى لى عبر النافذة وهى تخرج من الحمام وعلى رأسها عمة تعلن انتصارا أنثويا من النوع الجديد، يدخل عبد السلام بعدها يغسل عن عقله الأفكار المتناقضة ليدعى كل منهما الصحة والسلامة بفضل جرعات الوهم واللذة المباحة، وأنا؟ أنا؟ ماذا؟ وكيف؟ كيف سمحت لنفسى أن يحدث كل هذا؟

أمس سمعت جرس الباب يدق فى إلحاح، أحسست أنه عبد السلام، لم أفتح، أصر دون جدوى، انصرف فى خطوات مترددة، أين الحب إذن؟ لو كان يحبنى حقا، كان عليه أن يكسر الباب.

على قدر ما تمنيت أن يكسر الباب، كنت قد اعتزمت قتله لو فعلها.

\*\*\*\*

كان لابد لى من هذه الإجازة من كل شئ حتى الأكل والشرب، وبأحبذا التنفس والإحساس، انسحاب تام إلى صومعتى، أتوقف عن كل شئ إلا عن التفكير واللوم حتى فى نومى، عضلة تفكيرى لا تهدأ وانتباهى يزداد حدة، كيف سمحت لنفسى؟ كيف استدرجتى نفسى؟ كيف أمحو آثار العدوان؟ أبشع عدوان عرفه التاريخ أن يقتحم داخلك من لا تعرف دون إذن، فجأة لا تجد لذاتك معالما تذكر: تصبح قطرة فى محيط دون إنذار أو تحذير، لا ألوم إلا نفسى، أنا الذى ذهبت برجلي، وأنا الذى أقنعت نجوى باليأس التام، وأنا الذى اهترزت حين صدقتنى فدب فى الأمل المتحدى، ثم أنا فى النهاية الذى

خطأنى أطلب من الصلح،  
فشرتى المنبجة سوف تحمينى  
منهم، لو أحمل حساب أن  
الدفع، يمكن أن يدخل من  
فتحاتى حتى لو اختبأت  
رأسى ولم أجد إلا حجرا  
مجزعا لا حراك به،

خدعت فى قدرتى حتى  
نسيت ضرورة الهيات  
الشعوى لاستعادة النشاط  
واستمرار الحياة

لابد من مراجعة كل  
دعواتى، لابد من البحث عن  
منفذ فى أجدادى ينقذنى  
من الخداع مرة ثانية، لابد  
أن أرتقى إلى ما هو قنقد  
ذو أشواك يستطيع أن  
يشمرها وهو يتكور على  
نفسه عند أول تهديد  
بالاقتراب

فعلتها.

عندك، أنا أيضا الذى سأمحوها من ذاكرتهم ومن ذاكرتى تماما، سوف أذهب من جديد، سوف أستجمع كل قواى الدفاعية، تاريخ أجدادى فيه أروع وسائل الكر والفر والتمويه، سوف أستدعيه لأحافظ على نوعى الفريد، ليس كرا وفرا تماما، أشعر أننى أنحدر من أصل سلحفاوى، أن غطائى الحجرى هو مظلة حمايتى، كل ما علىّ هو أن أسحب رأسى وأطرافى داخله فى الوقت المناسب، غطائى أصلب من الصلب، قشرتى المنيعه سوف تحمىنى منهم، لم أعمل حساب أن الدفء يمكن أن يدخل من فتحاتى حتى لو اختبأتُ رأسى ولم أعد إلا حجرا مجزعا لا حراك به، خدعت فى قدرتى حتى نسيت ضرورة البيات الشتوى لاستعادة النشاط واستمرار الحياة، خايلنى دفاة خادع فاستكنت له وكأن الشتاء لا يأتى أبدا، كيف حدث كل هذا من ورائى وأنا الذى كنت أحسب أنى لا أسمح لهمسة خيرة أن تمر بى دون المرور من ممر عقلى الحاسب المتربص؟

هأنذا ملقى على ظهرى السلحفاوى المقوس، كلما حاولت أن أعدل نفسى تأرجحت كنصف الكرة دون جدوى فى استعادة توازنى بعودتى للارتكاز على سطحى الأملس، لم تنفعنى قدرتى على التقدم والتأخر برأسى المتلفت فى حذر.

لم ينفعنى بطئى الشديد ولا نفسى الطويل ولا حركتى الهادئة، كانت حاجتى للدفء والهواء المتجدد أكبر من حسابى لضرورة البيات والانسحاب فى الوقت المناسب، لا بد من مراجعة كل دفاعاتى، لا بد من البحث عن منفذ فى أجدادى ينقذنى من الخداع مرة ثانية، لا بد أن أرتقى إلى ما هو قفد ذو أشواك يستطيع أن يشهرها وهو يتكور على نفسه عند أول تهديد بالاقتراب.

أفكارى تجوب الأرض وتستعرض التاريخ، شللى تام وشكوكى حادة، تدمى كرامتى وتحذرني منهم ومن أى كائن حى.

المهم الآن: من يقلبنى على بطنى الأملس ثانية؟

تعبت من طول المحاولة بلا جدوى، لا شئ إلا التآرجح والدوار.

نظراتهم ترعبنى، ماذا ينتظرون منى بعد ذلك؟ أن أفعلها ثانية؟ أن أعيد اللقطة حتى يتأكدون من حسن الأداء وحذق المخرج؟ كلاكيت عواطف بشرية طازجة: سابع مرة؟ يا فرحتى بصندوق الدنيا الجديد، كنا زمان نتفرج على السفيرة عزيزة وهى شبه عارية بقرش واحد، هنا نشاهد عرض سترينيتز للتنازل عن الكرامة والشخصية والوعى قطعة قطعة، لعاب المخرج يسيل بشهوة الانتصار منفردا حين لا يبقى مرسوما إلا هو.

\*\*\*\*

أنا أرفض نظرة الترحيب التى لقيتني بها اليوم يا غبى، لا تتمدأ فى السعادة الشامتة وأنت تجتر تنازلى عن ذاتى تلك اللحظات، لن ترى هذه اللحظة ثانية حتى أموت، أنا هنا ثانية لأثبت لكم أنى مازلت غريب الأناضولى بلا زيادة ولا نقصان، وأنى ازددت اقتناعا بأن الوهم الذى تبيعه أيها التاجر الحاوى لا يستمر أكثر من ثوان، وأننى إن استطعت أن أحمى الآخرين من مثل هذه المسخرة فلسوف أفعال بلا تردد قبل أن ينقلبوا على ظهورهم دون حساب.

ماذا تفعل يا كمال لو استجبت له؟ أليس من الأسهل أن تستجيب لى أنا؟ آه لو علمت كم أتمنى لمسة من طرف أصابعك؟ هل تضمن أن تجمع نفسك من جديد لو تبعثرتُ منك تحت وهم هذا الذى

أفكارى تجوب الأرض  
وتستعرض التاريخ، شللى تام  
وشكوكى حادة، تدمى  
كرامتى وتحذرني منهم  
ومن أى كائن حى

يا فرحتى بصندوق الدنيا  
الجديد، كنا زمان نتفرج  
على السفيرة عزيزة وهى  
شبه عارية بقرش واحد

هنا نشاهد عرض سترينيتز  
للتنازل عن الكرامة  
والشخصية والوعى قطعة  
قطعة، لعاب المخرج يسيل  
بشهوة الانتصار منفردا حين  
لا يبقى مرسوما إلا هو.

لنتمسك بمعتهداتك يا كمال  
السميع مهما بدت لى سخفا  
أجوفه، فهى حماية لك من  
مناورات الحب وزعم  
الاقتراع، لتتركز عليها حتى

ولو كانت دعائهما قد نخرها  
السوس، هي جزء من ذاتك  
على أي حال

أما ما تدعوننا إليه أيها  
البحاوي المخادع فهي ذاتك  
أنت ممما صورتها على أنها  
الذات الكلية، أو اللاذات

هذا هو أحسن ما يقدمه الفن  
لوجودنا المهدد، هل أعاود  
الكتابة التي فضلتُ فيها  
قديمًا؟ لماذا اكتفيتُ  
بالقراءة؟

أفتبعت نفسي أنه لم يبق شيء  
يقال، لم أدرك ساحتها أن  
فائدة القول قد تكون  
لصاحبه أولاً، ما علينا، أتبين  
الآن أنه حتى لو قلت كلاماً  
معاداً فقد يحفظني ويثبتني  
تماماً

بسمونه علاجاً؟ هل ستعود مايسترو الألفاظ وسيد موسيقاها تقرض الشعر لتؤكد العدم؟ الآن فهمت  
معنى الغيبوبة التي تتواجد بها بيننا لتحمي كيائك من الاعتداء، الآن أستطيع أن أحترم معتقدات عبد  
السميع المقدسة لأنها أرحم من هذه المناورة الخطرة التي ليس لها اسم ولا معالم، فلتتمسك بمعتقداتك  
يا عبد السميع مهما بدت لى سخفاً أجوف، فهي حماية لك من مناورات الحب وزعم الاقتراب، لترتكز  
عليها حتى ولو كانت دعائهما قد نخرها السوس، هي جزء من ذاتك على أي حال، أما ما تدعوننا إليه  
أيها الحاوي المخادع فهي ذاتك أنت مهما صورتها على أنها الذات الكلية، أو اللاذات.

\*\*\*\*

انطلقت مشاعري الأخرى تذكرني بنزواتي القديمة، أحس بها هذه المرة نحو إبراهيم وكمال بنفس  
العنف، سوف أتجنب إبراهيم تماماً خوفاً من تكرار المأساة، أما أنت يا كمال فالطريق إليك أسلم لو  
فهمت رغبتى فيك، رغبة تؤكد موتى حتى لو غمرتها اللذة المرعبة.

= كمال.

- نعم.

= أنا أقرأ شعرك من قديم وأحس فيه بصدقك وحساسيتك وقدرتك.

- شكراً، أصبح الآن فى حكم الماضى، خاصمنى القلم إلى غير رجعة.

= كمال!!

- نعم.

= ما رأيك فيما حدث لى فى المرة السابقة؟

- أنت حر، هذا أنت.

= أنا أتكلم معك فيه لأنى أشعر أنك ترفضه أيضاً.

- ليس لى رأى محدد تجاه أى شئ.

= رأيك لا ذع فى شعرك، ويقولون مثل ذلك عن لوحاتك رغم أنى لا أفهم فيها شيئاً، كثيراً ما سألت  
نفسى هل أنت حقاً كمال نعمان.

- وكثيراً ما سألت نفسى نفس السؤال، هل أنا هو؟

= أنت فنان بكل معنى الكلمة.

- ولكنى لا أعرف لهذه الكلمة معنى محدد كما تحاول أن تصورها.

= هذه طبيعة الفنان بلا شك.

- أنا ما عدت أعرف طبيعة محددة لما هو فنان، أنا هنا لأنى لا أعرف، كلكم تبدون لى وكأنكم

تدركون شكواكم، أما أنا فمشكلتى الأولى أنى لا أعرف ماهى شكواى على وجه التحديد، إلا إن كان  
التوقف عن العمل أصبح مرضاً حديثاً.

= ألهذا أنت صامت متأمل هكذا طول الوقت؟

- ليس عندى ما أقوله أصلاً.

- = ولماذا تحضر إلى هنا؟
- ربما لأعرف ماذا أشكو منه.
- = .... موقف إلى اللعب أشبه.
- هذه هي الحقيقة.
- = وهل هذا هو ما أتى بك إلى هنا معنا؟
- طبعاً، هل تظن أنني حضرت بناء عن إعلان في الصحف عن وظائف مرضى خالية؟
- = ....
- ....
- = ما رأيك فيه؟
- حرقىُّ ماهر.
- = ألا تخاف منه؟
- لا.
- = لماذا؟
- لكلِّ حدوده.
- = هل تعتقد أنه صادق في مشاعره؟
- غاية علمي أنه فنان أيضاً، وإذا كانت مادتي هي الألفاظ والألوان فمادته البشر.
- = أنت تحترم الألفاظ أكثر مما يحترم هو البشر.
- الفنان لا يعرف الاحترام، ولكنه يحاول الصدق.
- = تدافع عنه.
- أقول لك إحساسى.
- = .... خبرتى تقول أن هذه لعبة خطيرة.
- يبدو ذلك.
- = ومع ذلك ستستمر فيها؟
- .... أجد متعة حقيقية فى الحضور والتأمل.
- = كثيرا ما يخيل لى أنك لست معنا، رغم أنك الوحيد الذى تثيرنى، الشئ الوحيد الذى استيقظ فى، وظل كذلك، هو ماكنت أحجل منه رغما عنى، كنت قد ألغيتَه بالنسيان والاستسلام للوحدة.
- ماذا تعنى؟
- = إحساسى الفج أصبح على السطح، وهو إحساس عنيف.
- ماذا تعنى؟

ماتت الأصاله وسكب العماس  
على صفحات الكتبه وطويت  
الصفحة، رسم الأولون كل  
الصور، وصفوا كل المشاعر،  
حددوا كل الآمال.

كنت أحسب أنني أستطيع  
أن أتفرج على الناس الذين  
هم هنا مثلما أتفرج على ما  
قاله السابقون دون جدوى،  
اختلعت الأمر لكننى لن  
أستسلم، سوف أضعهم من  
حرك خطة للدفاع المنظم حتى  
يتم الانسحاب من الظلام

قدرون استشارك تبحر من  
الفريسة هى كل مكان ولكن  
شينا ما يفشلك هى آخر لحظة

= ما فائدة أن أقول لك ماذا أعنى وأنت بعيد هكذا؟

- لا أفهم؟

= هل تزروني في البيت نكمل الحديث..

- لا مانع.

مناعتك ياكمال تفوق الوصف، كنت أحسب أنى أقدرَكم على الفرجة، يبدو يا كمال أنك اعتدت أن تفرز شحناتك أولاً بأول على الورق فلا تضطر إلى مغامرة التفاعل فالتعري والتشقلب شخصياً، هذا هو أحسن ما يقدمه الفن لوجودنا المهدهد، هل أعود الكتابة التي فشلتُ فيها قديماً؟ لماذا اكتفيتُ بالقراءة؟ أقنعت نفسي أنه لم يبق شئ يقال، لم أدرك ساعتها أن فائدة القول قد تكون لصاحبه أولاً، ما علينا، أتبين الآن أنه حتى لو قلت كلاماً معاداً فقد يحفظني ويثبت تماسكي، ماتت الأصاله وسكب الحماس على صفحات الكتب وطويت الصحف، رسم الأولون كل الصور، وصفوا كل المشاعر، حددوا كل الآمال، ولم يتحقق أى من ذلك، كنت أحسب أنني أستطيع أن أتفرج على الناس الذين هم هنا مثلما أتفرج على ما قاله السابقون دون جدوى، اختلف الأمر لكنني لن أستسلم، سوف أضعف من حيك خطة للدفاع المنظم حتى يتم الانسحاب في الظلام.

\*\*\*

لماذا تخليت عنى ياكمال؟ دعوتك إلى بيتي فتركت الطبق الشهى وذهبت، ولما لقيتك تجاهلتني كأنك لم تكن عندي بالأمس، لن أجرؤ على دعوتك ثانية، قد تصبح قصة، عرفت حدودك وعرفت ما بي، لست أنت.

\*\*\*

تعجبنى يا مختار وأحتقرك في نفس الوقت، هريك أنجح كما يبدو أنه أذ، قرون استشعارك تبحث عن الفريسة في كل مكان ولكن شيئاً ما يفشلك في آخر لحظة، لو أنك وغد فقط لما جئت هنا، أتساءل كثيراً لماذا أنت هنا؟ ولماذا تواصل الحضور؟ وكأنك سوف تجد شيئاً لا تعرفه؟ أحياناً أشعر أنك تتساءل معي عنك، لماذا لم تغنك شهوتك عما سواها؟ أستطيع أن أستنتج نجاحاتك، محروم أنا من هذه المغامرة وأتقمصك أحياناً لأتعرف عما ينقصني، أفكر فيك أكثر، تزروني صفة فأواجه بعجزى. هل تعرف يا مختار أنني على قدر ما أعجب بك، أحتقرك؟

\*\*\*

لو كنت أعرف يا عبد السلام يا مشد حقيقة ما ينتظرنى هنا من خداع لقتلتك قبل أن تدعوني لمثل هذه الخبرة المهينة، ألن اليوم الذى طرقت فيه بابي، كنت قبله أستاذا يعرف كل شئ، وكنت أنت تلميذا لم تحفظ حروف الهجاء بعد. أحياناً أضبطك الآن وكأنك تعابرنى بأستاذيتك لى، أضحك عليك وأنت تتصور أنك تسير على طريق الصدق والحياة، خيبتك قوية، الصدق والحياة؟ ما أعباكم جميعاً، لولا أزمة المساكن لتركت لك البيت من بابهِ حتى لا أرى امتداد مسرحية الخداع بينك وبين السيدة حرمكم المصون طول الوقت، يخنقنى منظر الصدق المزعوم بينكما حتى لأفكر فى الهجرة إلى القطب الشمالى هرباً من هذه التمثيلية المعادة، كل الناس تعيش فى ستر مؤلم وهم لا يدعون ما تدعون، استسلامهم أشرف من كذبكم، خدعتكم أفاظ الحاوى فتعلمت فردوس هانم القفر المتقطع مثل

أنا لا أخافه منهم، ولكنهم يثيرون جوا من المفروض واللامفروض، بحيث يصعب الكلام ذا طبع خاص، وهوانين محفوظه لا تسمع بأى صدق حقيقى

انمحت شخصياتهم حتى لم يعد يصلح أن أكلّم أحداً وحده، أصبحوا نسخة واحدة، لن يقبلونى إلا إذا أصبحت مثلهم

ما الذى جاء به بين هؤلاء الناس هاقدى المعالم؟ هل هو انتحار آخر؟

ورطة وسط مجموعة من الكائنات الهلامية بلا كيان، هل يكون هذا هو هدهى الخفى من مجيئى؟

الغراب، تصابيحها لا يخدعنى وهى تدعى التطور والصحة، أمعن النظر يا عبد السلام وسوف تتبين أنها صحوة الموت قرب سن اليأس وصاحبك يوهمك أنها الولادة من جديد أو البعث، تتحدث عن سنها باعتبار أنها سن النبوة، ماشاء الله ياستنا فردوس، جعلنا الله من بركاتك، لو صدق أنكما نجتما، لا أعرف كيف، فأنا مهدد أكثر من أى شئ، لا أقبل الكذب ولا الاستسلام. أنا أعيش شرف الوحدة وصدق العجز، بودى لو انتقم من فعلتك يا عبد السلام بدعوتى إلى هذه الورطة، صبرك، سوف أنسحب أو لا ثم أمضى بقية عمرى انتظر فشلك الذريع، ساعتها قد أمد لك يدى صادقا لأقنعك باليأس الصبور: راحتنا الحقيقية.

لو صدقت ما تحاولان إقناعى به لانزلت إلى شباك نجوى شعبان، أنا مهتم بها وهى تغطى فخ الزوجية السعيد بالأوراق المتساقطة من شجرة "كنظام الصدق والحب".

هل أستطيع أن أنقذها من عماها قبل فوات الأوان؟

- 1 -

= أنت تعلمين يا نجوى أنى مهتم بك شخصيا.

- .... ما المناسبة.

= نتحدث بشجاعة؟

- ياليت.

= أريد أن أحدثك فيما يجرى هنا.

- ولماذا لا نتحدث أمامهم،

= أنا لا أخاف منهم، ولكنهم يثيرون جوا من المفروض واللامفروض، بحيث يصبح الكلام ذا طبع

خاص، وقوانين محفوظة لا تسمح بأى صدق حقيقى.

- ماذا عندك؟

= ليس عندى شئ.

- غريبة؟

= أنا أحذرك.

- ونفسك أنت؟ هل ترى أنها انتفعت بالتحذير؟

= إياك أن تتصورى أنى انهرت ذلك اليوم، كان تمثيلا فى تمثيل.

- طول الوقت؟

= يعنى.

- محاولة كذبك على نفسك محاولة خائبة، لكنك عنيد، وأنا أحبك.

يا نهار أسود، أصبحت مثل شحاذى السيدة، فردوس هانم وعذرتها وهى توزع كعك الرحمة والحنان بنفس الاسم، أما نجوى التى كنت أحترمها وأقدر شجاعته فى تحمل مسئولية فشلها الأول فلم أتصورها وهى تمنح هى الأخرى فضلات العواطف المبتذلة لأمثالى ممن تتوسم فيهم غياب الجوع

أنا أعلم أنى كنت دائما لا أرى إلا رأيى، أقنعونى بطريق ما أن آرائى ليست آرائى، أنها مفروضة على. سلخوا حق ملكيتى لها

التاريخ يحوى كل ما تريد دون محاولة لاختبار الحياة من جديد هنا أو الآن

لا يتبقى لنا إلا اللعنة التى يتحكم هو فيها بأسلاكه خير المرئية، سوف تنتعز الثقافة ويتحلل التاريخ تحت أقدامكم وأنتم تقفزون فوق خبرات الانسان كالغرابان يا جهلة

لا أمان عندي إلا أن يتنازل هو عن ذاته أولا، يبدو أن هذا هو المستحيل نفسه، أحاط

الجبان.

ماذا يحركنى فى الداخل؟

هل انفلت منى الزمام حتى لم أعد أحسن الحساب؟ هذا كلامه هو بلا نقصان، انمحت شخصياتهم حتى لم يعد يصلح أن أكلم أحدا وحده، أصبحوا نسخة واحدة، لن يقبلونى إلا إذا أصبحت مثلهم، بعيدا عن شواربهم، استفدت من الخبرة السابقة رغم عنفها بما يفوق الوصف، علمتني ألا أسمح لنفسى أن أغيب عنى ثانية واحدة، ولا نصف ثانية، لولاها لما أشفقت على الست نجوى هانم، مالهم بى؟ ليذهبوا جميعا إلى جنة شيخهم الموعودة، حلال عليهم، هم هنا وهناك سواء، مسوخ لا تستطيع أن تميز واحدا من الآخر، ما الذى جاء بى بين هؤلاء الناس فأقضى المعالم؟ هل هو انتحار آخر؟ حين ضجرت من ذاتي المتضخمة، لوح لى عبد السلام أنه يمكن التنازل عنها دون جنون أو ضياع، كنت متمسكا بها حتى أمسكت هى بى فكدت أختنق، حديث عبد السلام عن النفس الكلية وعن الذوبان فى المجموع وكيف يشبه الناس بعضهم بعضا صوراً لى أنه مسموح اللحم بما لا يكون، وهذه هى النتيجة: ورطة وسط مجموعة من الكائنات الهلامية بلا كيان، هل يكون هذا هو هدفى الخفى من مجيئى؟

شخصيتى المنهكة أرهقتنى ولم تغن عنى شيئاً، فما الذى أرعبنى حين فرطت فى وعيى، لحظة، جزء من لحظة؟ أنا أعلم أنى كنت دائما لا أرى إلا رأيتى، أقنعونى بطريق ما أن آرائى ليست آرائى، أنها مفروضة علىّ، سلبوا حق ملكيتى لها، وحتى حين أقول العكس فأنا أمارس عكس ما فرضه أبى، وما فرضته الحكومة، سيان، ماذا تبقى لى إذن؟ كدت أصدقهم حتى أنى بدأت فى طريق البحث عن آرائى أنا، كلام يشبه الجد، حين فعلتها عرفت أية خدعة استدرجت إليها، خبيك الله يا عبد السلام، ما أسهل البحث فى الكتب وتصور مصائر الاحداث دون الدخول فيها، التاريخ يحوى كل ما تريد دون محاولة لاختبار الحياة من جديد هنا أو الآن، لعبة يحذقها صاحبنا حتى لا يتبقى لنا إلا اللحظة التى يتحكم هو فيها بأسلاكه غير المرئية، سوف تنتحر الثقافة وبتحلل التاريخ تحت أقدامكم وأنتم تقفزون فوق خبرات الانسان كالغربان يا جهلة، يفقدنا هذا الرجل الدجال ذواتنا لنصبح أنية شفاقة يضع فيها سائله هو، لا أمان عندى إلا أن يتنازل هو عن ذاته أولاً، يبدو أن هذا هو المستحيل نفسه، أحاط هذا الرجل نفسه بسياج من ادعاء الطب وحذق ألعاب الحوارة.

لن أكون عليا ليكون هو معاوية يا عبد السلام يا أشعري، أنت غيرى حتى لو استعدت أنت وزوجتك الجنة المفقودة، لن أتنازل عن ذاتى إلا لله الذى تزعمون، وهو ليس فى حسابى، لست أبلها أضرب فى الظلام، آلهتى هى ذاتى، وواقعنا الشقى، ووحدتى المقدسة، وليذهب كل ما عدا ذلك إلى الجحيم.

- 2 -

= اسمعى يا نجوى.

....-

= هل هناك أمل أن نجرب شيئاً آخر؟

- طبعاً.

= هذه اللغة الجديدة قيد على مشاعرنا التلقائية.

هذا الرجل نفسه بسياج من  
ادعاء الطب وحذق ألعاب  
الحوارة

هو ايتك المفصلة مثل كل  
بنات جنسك هى امتصاص  
الرجال ثم الإلقاء بنفاياتهم  
مثل مصاصة القصب

عمالك صور لك أن اهتمامى  
بك يمكن أن يظلمى، عندك  
حق، فتدنت نفسى منذ سمعت  
لك أن تتفرد بى عليهما ذلك  
اليوم

المصيبة أننى أحبه أحياناً،  
وأحياناً أكره أشفق عليهما،  
وفى معظم الأحيان أشك فيه  
وأخاف منه

ذات شطحة أخرى حكمت  
العالم سرا فترة من الزمن،  
كان حكما رائعا لم أظلم فيه  
إنسانا ولا حيوانا ولا طائرا،  
كان عالما، ساد فيه  
الأطفال وكان الأعمار تسير  
بالمقلوب فيولد الإنسان  
مجنونا ويصغر حتى إذا ما  
بلغ عمر الطفل تولى منصب  
اللاعب الأول في الدولة

وزعت الأرزاق بالعدل  
وزعت البحر كما نبتت  
أشجار الفاكهة على سفوح  
جبال السحاب، كان ديواني  
مفتوح على مصراحيه لكل  
الناس وكان رغم صغره يسع  
الناس جميعا، لم يكن عندي  
حجاب ولا وزراء ولا  
مساعدين، كانت الأمور  
أبسط من كل ذلك

حين استتبت الأحوال  
أحسست أنه لا معنى لسلطاني  
ولا حتى لوجودي، قررت أن  
أتنازل عن كل شيء لكنني لم  
أجد أحدا يصلح له إلا الله،

- قلها يا غريب، هات ما عندك.

= تقولين أنك تحبينني.

- طبعا.

= لاداعي لـ "طبعا" هذه، أليس هذا ما يحذرنا شيخكم منه؟

- يعني، إسمع يا غريب، إذا بقيت على هذه الطريقة فدعني أذهب، ليس معقولا أني كلما نطقت

بلفظ، نسبته له أو لأى أحد غيري، ألا ترى مبلغ خوفك؟

= أنا أرتاح لك يا نجوى.

- .... وأنا أرفض ضياعك، لا تؤاخذني، مع أنك أقنعتني يوما بجوى اليأس.

= جروحي قديمة يا نجوى ولا أمل في نسيانها.

- ليس عندي ما أعدك به.

= لا أملك أن أكون الوحيد في حياتك، ولا أستطيع.

- لا أفهمك.

= أريد أن أن أطمئن على قدرتك على تحمل مسؤولية ذاتك، دون الاعتماد على آخر.

- لا سبيل للاطمئنان إلا بالتجربة.

= ليس معي الآن على الأقل.

- أنت ترفضنا جميعا، ترفض المجموعة من حيث المبدأ، فلماذا تحضر؟

= لا أعنى المجموعة.

- من تعنى؟

= أريد أن أطمئن إلى اعتمادك على نفسك.

- لست إلهة، وفشلك أنت في الاعتماد على نفسك لا يبشر بخير.

= فشلي أفضل من نجاح زائف.

- كلامك غامض، أكاد لا أفهم منه شيئا.

= عندك حق، لا شيء يطمئن، خصوصا هذا.

- .... هذا ماذا؟

= لا فائدة إلا أن تكوني بجانبى دون شروط.

- إسمع يا غريب، إعرف أولا ماذا تريد، ثم تعال نتكلم.

= أريدك بلا زيادة ولا نقصان.

- لا يا شيخ، !! وشروطك الخفية؟

= تقليبها علاجا كما علمك شيخك المبارك.

- تعود لنفس الحكاية، أنت لا تريد أن تتحمل مسئولية ما تقول، أو ما أقول.

- تاريخي يقول غير ذلك، لم يتحمل أحد عنى مسئوليتي أبدا.

=... فأنت الشقاء ذاته.

- هذا شأنى.

= وشأنى أيضا.

- ترجعين إلى الوصاية تحت ستار العواطف المستوردة.

= الله يلعن جبنك يا أختى، حيرتني.

- ليكن، أنا أعرف طريقى.

= نعم؟ نعم؟

-.. أحاول أن أعرفه على الأقل، دعيني فى حالى.

= أنت فى حالك طول الوقت.

\*\*\*\*

باحثالة المجانين، مرة ثانية تتركينى يا كلبة، يا مغرورة، تريدين ذكرا تلقين عليه اللوم كله، وفى نفس الوقت تتمتعين بالحديث عن خدعة الحرية والتطور، هوأيتك المفضلة مثل كل بنات جنسك هى امتصاص الرجال ثم الإلقاء بنفائياتهم مثل مصاصة القصب، لولا أنى مازلت أقدّرُ عنادك لكان لى موقف آخر، عماك صور لك أن اهتمامى بك يمكن أن يذلنى، عندك حق، فقدت نفسى منذ سمحت لك أن تتفرجى عليها ذلك اليوم.

كيف أمحو ما كان؟

كيف أترك لهم صورة أخرى، صورتى القديمة، صورتى الحقيقية؟

كلما قررت أن أتوقف قفزت إلى صورتى المسحولة بغير معالم.

هل أمضى فلا يذكرونى إلا بها؟

لم يعد يصلنى منهم الآن إلا شفقة خفية، أو استهانة صريحة.

- 3 -

هذا الحاوى المناور، هذا الشيخ الساحر، ماهى حكايته؟

المصيبة أننى أحبه أحيانا، وأحيانا أخرى أشفق عليه، وفى معظم الأحيان أشك فيه وأخاف منه، هذه اللعبة أنا أعرفها جيدا، كنت أتصور أننى أنهيتها لصالحى مع أبى منذ سن مبكرة، لم أنجح فى ذلك إلا حين كفرت به، وكفرت بالله، فلم يعد على سلطان يوجهنى إلا ذاتى، من يومها وأنا أومن "بى" إيمانا كاملا، فتفجرت فى قدرات خارقة جعلتتى ذات مرة قرصانا يقتل موبى ديك بطعنة واحدة، ويقضم أنياب الفك المفترس ثم يقفز قبل أن يبتلعه.

ذات شطحة أخرى حكمت العالم سرا فترة من الزمن، كان حكما رائعا لم أظلم فيه إنسانا ولا

حيوانا ولا طائرا، كان عالمًا، ساد فيه الأطفال وكانت الأعمار تسير بالمقلوب فيولد الإنسان

تراجعت حتى لا يفسد الناس من بعدى وقررت ألا أتنازل عن مملكتى حتى أجد له ليتولاهما بمعرفته ما دام يدعى أنه خلقهما، وهو لم يأت ليتسلما حتى الآن

حين كنت أنزل إلى العالم الأذنى لم أكن أعرض المشى ولا الحديث باللغة الساندة، ومع ذلك كنت أواصل السعى لأرجع مثبنا بالجراح إثر الوقوع واللطامة

مجرد وجود هذا الكم المائل من الكتبة هو دليل على فشل البشر فى الوصول إلى شىء ذى بال، لو كانوا وجدوه ما كتبوه

هى آخر الزمان تلوح لى من  
جديد بمملكة العدل والأمان  
على الأرض الخراب هذه،  
لقد كنت مستعدا للهجرة  
إليها فى سبع سماء

لم يكن عندي مانع أن  
أصبح البلاء من المتدينين  
وهم يحلمون بما هى الآخرة  
وسط أغلفة المجهول فى  
مكان ما بالظنون السرى  
الغامض بعد الموت

يا ليتنى ما كهرت أبدا، يا  
ليتنى ظلمت أحلم مثلهم،  
تركت لهم جنتهم بعسلها  
ولبنا حبيث كل الناس مثل  
كل الناس، لا أنا وجدت  
جنتى، ولا أنا رضيت بجنتهم

نفسى هى زادى وغايتى  
وشقائى، وعيى يقظ طول  
الوقت، لن يتفجر ثانية إلا  
لحسابى، سأعاود صنع

عجوزا ويصغر حتى إذا ما بلغ عمر الطفل تولى منصب اللاعب الأول فى الدولة، وزعت الأرزاق  
بالعدل وزرعت البحر كما نبتت أشجار الفاكهة على سفوح جبال السحاب، كان ديوانى مفتوح على  
مصراعيه لكل الناس وكان رغم صغره يسع الناس جميعا، لم يكن عندي حجاب ولا وزراء ولا  
مساعدين، كانت الأمور أبسط من كل ذلك، وحين استنبت الأحوال أحسست أنه لا معنى لسلطانى ولا  
حتى لوجودى، قررت أن أتنازل عن كل شئ لكننى لم أجد أحدا يصلح له إلا الله، وهو غير موجود،  
تراجعت حتى لا يفسد الناس من بعدى وقررت ألا أتنازل عن مملكتى حتى أجد له ليتولاها بمعرفته ما  
دام يدعى أنه خلقها، وهو لم يأت ليتسلمها حتى الآن.

حين كنت أنزل إلى العالم الأدنى لم أكن أعرف المشى ولا الحديث باللغة السائدة، ومع ذلك كنت  
أواصل السعى لأرجع متخنا بالجراح إثر الوقوع واللطمات، لم يتركوا فى موقع إلا طعنوه، أرجع  
وجراحي تقطر دما، أحبك اللفافات حولها فلا يراها أحد، أعرف تماما كيف أن رعاياى كانوا فى أشد  
الحاجة إلى طول الوقت قويا قادرا على كل شئ، حذقت كيف أجدد جلدى باستمرار، حميت بذلك نفسى  
من الشفقة الشماتة، الخيط الذى نفعنى فى نسج الكيس الجلدى حولى الطبقة تلو الأخرى وجدته فى  
الكتب التى راحت تؤكد لى فشل كل من سبقونى، مجرد وجود هذا الكم الهائل من الكتب هو دليل على  
فشل البشر فى الوصول إلى شئ ذى بال، لو كانوا وجدوه ما كتبوه، ثم تطلع لى يا عبد السلام يا مشد  
فى آخر الزمان تلوح لى من جديد بمملكة العدل والأمان على الأرض الخراب هذه، لقد كنت مستعدا  
للهجرة إليها فى سبع سماء، لم يكن عندي مانع أن أصبح البلاء من المتدينين وهم يحلمون بها فى  
الآخرة وسط أغلفة المجهول فى مكان ما بالظنون السرى الغامض بعد الموت، لم أستطع، يا ليتنى ما  
كفرت أبدا، يا ليتنى ظللت أحلم مثلهم، تركت لهم جنتهم بعسلها ولبنا حبيث كل الناس مثل كل الناس،  
لا أنا وجدت جنتى، ولا أنا رضيت بجنتهم.

لماذا حكيت لى يا عبد السلام عن تلك الجنة المسحورة البديلة المشفرة فى عيادة هذا الطبيب  
الأرزقى؟ لماذا لوحت لى بإمكان الحياة بشكل آخر؟ من حقك يا عبد السلام أن تحلم بما يرضيك وأن  
تجرجر زوجتك المصونة ورائك كما تحب، ولكن من حقى أنا أن أحافظ على ذاتى من سطوة شيخك  
الغامض المغرور وهو أكثر خوفا واهتزازا منى ومن أى واحد فيكم، يغرينا بالتنازل عن ذاتنا فى حين  
يتمسك هو بكل قطرة من ذاته، ألا ترى أن نفسه متضخمة فاعرة فاها تلتهم كل ما يلقى فيها من  
ضحايا الوحدة والألم، وهى تقول دائما هل من مزيد.

نفسى هى زادى وغايتى وشقائى، وعيى يقظ طول الوقت، لن يتفجر ثانية إلا لحسابى، سأعاود  
صنع مملكتى أنا، أتحين الفرصة للانسحاب، سوف أظل يقظا طول الوقت حتى تستغرقون فى سباتكم،  
فأتسحب مشفقا عليكم.

\*\*\*\*

= قبل أن ذهب أريد أن أذكرك يا نجوى.

- ..... ولكن تذكر أننا نحبك.

= أفاظكم أصبحت متشابهة.... مثل السمك الميت فى حلقة روض الفرج، أشم لها رائحة لا  
تسرك.

- تلوح لى فى كل مرة، ثم تقطع أى حديث بهذه السخرية المرة.

= أنا أشفق عليك تماما، جاء دورى لأفتح "سبيلا" للشفقة مثلما كنت تفعلين معي.

..إفعل ما يحافظ على تماسكك، هذا حقك.

= هذا الرجل يوزع حيرته الكبرى عليكم بالتساوى ويتفرج عليكم من أعلى.

- يجوز، فماذا عندك بدلا من ذلك.

= حافظى على نفسك المحدودة المعالم، فلن يعيش أحد بالنيابة عنك.

- هل نجحت أنت أن تعمل بنصحيتك، لماذا جئت هنا ولماذا استمرت هذه المدة؟، أليس لأنك أنهكت من المحافظة على نفسك المحدودة المعالم.

=... كنت مخدوعا حين تصورت أن تنازلى عنها سوف يلحقنى بالذات الكبرى.

- لأنك لا تعترف بأن هناك احتمال لوجود ذات كبرى.

= تبينت أن الذات الوحيدة فى هذا الكون هي ذاتى أنا الكبرى.

- ماذا تركت لى إذن فى هذا الكون؟ بم تغرينى؟

= لكل وحدته الخاصة به، لا علاقة لها بالآخر مثل النجوم فى السماء..

- النجوم تسبح فى كون واحد وبنظام واحد فى فلك واحد.

= عبث تدعونه، عدم تحملنا مسئولية الاستقلال ترعبنا من التناثر حتى نخترع إلها مزعوما يجمعنا إلى الضياع فيه أو نحوه، كل واحد هو إله ذاته لا أكثر.

- كم مليار إله على الأرض؟

= كلهم، ما المانع؟

- منظر الآلهة وهى تتقاتل على لقمة العيش أو قطعة أرض أو خمسة تعريفة، يهلك من الضحك.

= الآلهة طول عمرها تتقاتل، الإنسان لم يصبه البله إلا حين قبل خدعة التوحيد، ألم تكن حياة آلهة

الإغريق ذوى الاختصاصات الرائعة أغنى وأجمل، إله للعدل، وإله للجمال، وإله للحب، وحتى الشر كان عظيما وله إله رائع، ثم جاء الهرب الشمولى إلى شئ ليس كمثلته شئ، ثم يأتى صاحبك هذا يسميه الصحة ويصلى له بهذه الطقوس العلاجية، أسماء جديدة لغباء قديم،

- نحن لا نملك إلا السعى والمحاولة.

= هل هذا كلام يا نجوى؟، هل هذه عيادة أو نوع جديد من المخدرات؟

- الوعى يزداد والإحساس يستيقظ.

= ثم يتلاشى الجميع فى الجميع، وصاحبك يظل هو اليقظ الأوحد، يتحكم فى أسلاك لعبة الإحساس

الموجه لتحريك الجميع نحوه بمنتهى الحرية، حريته هو، ولا مانع أن يسمى ذلك إيماننا أو صحة أو ما شئت،

- ليس بالضبط، التوجه الضام إلينا لا يمحونا، يمكن أن تسميه الإيمان إذا شئت، وهو ماينساب

إلى الجميع فيجمعهم دون استئذان، ويفرقهم دون ضياع.

= تعتبرين تلاشى الكل فى الكل إيماننا.

أتعبين الفرصة للانسحاب،  
سوفه أظل يقظا طول الوقت  
حتى تستغرقون فى سباتكم،  
فأتسحب مشهوقا عليكم

الفاظكم أصبحت متشابها...  
مثل السمك الميت فى حلقة  
روض الفرج، أشم لها رائحة  
لا تسرك

ليس بالضبط، التوجه الضام  
إلينا لا يمحونا، يمكن أن  
تسميه الإيمان إذا شئت، وهو  
ماينساب إلى الجميع فيجمعهم  
دون استئذان، ويفرقهم  
دون ضياع

كل ما أتمناه هذه الأيام هو  
أن أنجع فى إتقاعى بفقد  
الأمل، أنا يانس مثل البداية

## وأكثر

- إفهمها كما تشاء.

=.... خيرتى مرعبة.

- لم تكملها.

=... لن أتشوه بإرادتى.

- كفرك بكل شئ إلا نفسك، يبعدك عن أى احتمال آخر، وعن نفسك.

=....

....-

= كيف أراك خارج المجموعة بعد انقطاعى.

- ربنا يسهل،

= أحب أن أتبع ما يجرى، لم أتخلص من حب استطلاعى تماما، ولكنى لم أعد أحتمل المخاطرة.

- لا أستطيع خداعك بوعد لا أضمن الوفاء به.

= أنا أستطيع أن أحمى نفسى بنفسى.

-.... هذا صحيح.... غالبا.

= ما أسخف كل شئ.

\*\*\*\*

كل ما أتمناه هذه الأيام هو أن أنجح فى إقناعى بفقد الأمل، أنا يائس مثل البداية وأكثر، هذا الذى يطل على من الداخل وبلا مناسبة يشبه ما يسمونه الأمل، بضاعة لا أعرفها، كلما عاودنى هذا الهاتف بالرغم منى تذكرت مسخرة ذلك اليوم، حتى تقفز إلى عقلى فكرة الانتحار، لم أعد أطيق أى شئ يوحى إلى بالأمل أو يدعونى إلى الحياة، حتى زيارات صفية أصبحت عبئا ثقيلًا يواجهنى بعجزى أكثر، أفكر فى التخلص منها بأية وسيلة، يخطر على بالى أن أوجهها مباشرة، أرفض شعورها بالواجب وأمقت تصورها حبها لى، أفكر فى مختار، هل أنا أنتقم من إصرارها على ملاحقتى، أو مساعدتى، أو حتى حبى، ينقبض قلبى كلما أحسست أنى ألعب معها لعبة خبيثة لا أعرف حقيقة أبعادها.

هذا السؤال الذى يحيرنى بين أن أعيش أو أموت هو الذى يدفعنى إلى قطع كل صلة يمكن أن تربطنى بالحياة، لماذا لصق هذا السؤال بالذات فى خلايا عقلى من بين كل ما شاهدت عندهم من قمامة؟ زارنى عبد السلام ليدعونى ثانية إلى معاودة الحضور ولكنى راوغته وحاولت أن أحطم كل آماله حتى يحل عنى، هو شخص عنيد يخدم نفسه وتخدعه زوجته، ما لى أنا به، بهما؟ هو السبب، قبل دعوته الأولى كنت متمتعا بأنى لا أعيش ولا أموت كنت قد اكتفيت بأن أكون ناعى الحياة الصادق أمزج الموت بالحياة سرا، أتحدث عن الموت وكأنى أعيش، وأقرأ عن الحياة وأنا ميت، لا يتلاقى الضدان إلا تحت التراب، متى يحين ذلك.

أصبحت القراءة عبئا جديدا، الكلمات تتحدانى شخصيا، لم أعد أستطيع أن أحتفظ بمسافة كافية بينى وبينها، ألفاظ كثيرة تنبض بما تحوى فتحرك شيئا بداخلى يريد أن يلزمنى به، كأنى مسئول عنه، عن تحقيقه، عن اختبار إمكانيته، أى مصيبة حلت بى، لم أعد أستطيع الاكتفاء بهذه النشوة الصومعية،

هذا الذى يطل على من الداخل وبلا مناسبة يشبه ما يسمونه الأمل، بضاعة لا أعرفها

السؤال الذى يحيرنى بين أن أعيش أو أموت هو الذى يدفعنى إلى قطع كل صلة يمكن أن تربطنى بالحياة، لماذا لصق هذا السؤال بالذات فى خلايا عقلى من بين كل ما شاهدت عندهم من قمامة؟

أصبحت القراءة عبئا جديدا، الكلمات تتحدانى شخصيا، لم أعد أستطيع أن أحتفظ بمسافة كافية بينى وبينها

أصبح للكلمة لسان تخرجه لى، حواجبها تتلاعب أمامى وتتحدانى، الحروف أسنة للكلمات تشكنى مثل الدبابيس فى مقلة وعيى.

مصيبة وحلت بى، لا أستطيع نسيانها وإن كنت نجحت فى أن أخفى آثارها، أواجه مصيرى وحدى.

لا....

لن أنتحر.

و.... و.... و..

ولن أعيش.

ألفاظ كثيرة تنبض بما تحوى  
فتحرك شيئاً بداخلى يريد  
أن يلزمنى به، كأنى مسئول  
عنه، عن تحقيقه، عن اختبار  
إمكانيته

إرتباط كامل النص:

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD240618.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD240618.pdf)

\*\*\* \*\*

### شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيقا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

ش.ع.ن: إنجازات أربعة عشرة عاماً من الكدح "

( التأسيس العام 2000 الاطلاق على الويب العام 2003 )

الكتاب السنوي الخامس

تحميل الكتاب

- التحميل من موقع " شبكة العلوم النفسية العربية "

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

\*\*\* \*\*

اشترائات الخدمات و هي اصدارات الشبكة

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_category=36&controller=category&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3)

خدمات الاعلان بالمتجر الإلكتروني

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_category=39&controller=category&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=39&controller=category&id_lang=3)



شبكة علوم النفس العربية  
نحو لياقة نفسانية أفضل

مؤسسة العلوم النفسية العربية  
معا ... نذهب أبعد